«الانتفاضة»...

ضمير

الأمّة!

في مقابلة مع جريدة «السفير» (تاريخ ٢٨/ ٢/ ١٩٩٤) دعا المفكّر العربيّ الكبير إدوار سعيد الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلّة وفي الشتات للالتفاف حول قضيّته العادلة، في هذه المرحلة العصيبة بعد مذبحة الخليل، وطالب بـ «تجديد الانتفاضة»، و«إحياء المؤسّسات الوطنيّة الفلسطينيّة»، كما طالب بـ «قيادة فلسطينيّة جديدة ومسؤولة»، لأنَّ القيادة الحاليّة تنازلت عن الكثير من الحقوق الجوهريّة للفلسطينيّين، و«إذا استمررنا على النهج الحالي الذي وضعته لنا واشنطن وتل أبيب ومنظمة التحرير الفلسطينيّة، فإنّنا سنواصل التفاوض حول المزيد من التصفيات بحقِّ شعبنا وترسيخ الاحتلال وإلغاء الحرّيّة من مستقبلنا».

ونحن في «الآداب» نتبنّى بلا تحفُّظ موقف إدوار سعيد، الذي نؤمن اليوم عميق الإيمان بأنّه أصبح «ضمير المثقّف العربيّ»، هذا المثقّف الذي يناضل من أجل أن يظلَّ «مبدئيّاً» وألاَّ تلوّثه روح «التسويات».

ولقد سُئل إدوار سعيد، في هذه المقابلة (التي أجراها معه هشام ملحم في واشنطن) عن دور المثقّف الفلسطيني أو العربي في هذا الوقت، فكان جوابه:

«أدعو المثقّفين الفلسطينيّين للتوقُّف عن الاختباء وراء كلمات مثل «الشرعيّة» للتهرُّب من مناقشة ما يجري في أوساط الفلسطينيّين، وأن يتحدَّثوا عن الحقيقة كما هي. على المثقّفين أن يقولوا الحقيقة بصدد الظروف المروّعة التي يعيشها شعبنا، والأخطاء الرهيبة التي ارتكبتها وترتكبها قيادة منظمة التحرير مع مرور كلِّ شهر وكلِّ سنة(. . .) إنَّ الدعم الضمنيّ الذي يعطيه هؤلاء المثقّفون للوضع الراهن، يعني المشاركة في المحافظة عليه(. . .) إنَّ للمثقّفين دوراً مهمّاً جدّاً في محاولة التغلُّب على مشاعر اليأس التي سيطرت على شعبنا، والتي تعود، إلى حدٍّ كبير، إلى الممارسات المفلسة لقيادة منظمة التحرير الفلسطينيّة».

وحين نقتبس هذه الأقوال من إدوار سعيد، فنحن واعون تمام الوعي أنَّ مجزرة الحرم الإبراهيمي في الخليل إنَّما هي مندرجة كلّيّاً في صميم السياسة الصهيونيّة، وفي «تاريخ» الحركة الصهيونيّة. فليست هي أوّل مجزرة ولن تكون آخر مجزرة، مادامت القيادة الفلسطينيّة، وربّما القيادات العربيّة كلّها، تواجه الوضع بمثل الموقف الذي تواجهه به حتّى الآن.

تحيّة إلى إدوار سعيد ضميراً للمثقّف العربيّ الملتزم!

وتحيّة إلى «الانتفاضة» ضميراً للأمّة العربيّة المناضلة!

«الآداب»